الجامعات والشهادات

حول مقال (بلد الشهادات) لحسين مؤنس (رحمه الله)

تأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

رحمه الله تعالى

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة العرب– الجزء 1-2– السنة 17- ص 40 – 66

1402 هـ - 1982 م

حول مقال : (بلد شهادات) :

الجامعات والشهادات

قرأت مقال : بلد شهادات الذي كتبه الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في العددين (٥ ، ٦) من السنة السادسة عشرة الصادرين في ذي القعدة وذي الحجة من سنة ١٤٠١ هـ (أيلول — تشرين أول/ سبتمبر — أكتوبر من سنة ١٩٨١ م في مجلة العرب السعودية .

ومجلّة العرب مجلّة دسمة في أبحاثها ومقالاتها ، لا يستغنى عن قراءتها عالم ومتعلّم ، تتميّز بالجديَّة في دراساتها ، وهي حسنة من حسنات العالم الجليل الشيخ حمد الجاسر .

كما أن الدكتور حسين مؤنس معروف بدراساته القيِّمة ، وقد أضفى على مقاله من علمه وتجربته ودعابته المستملحة ما جعله حرياً بالقراءة والتعليق .

وأستطيع تلخيص تعليقي على هذا المقال القيِّم ، بثلاث نقاط هي : التأييد الكامل لما جاء في المقال بصورة عامة ، والمخالفة المحدودة في جزء صغير مما ورد في المقال ، والاقتراح على الكاتب أن يدلّنا على المَخْرَج من التردي العلميّ الذي يشكو منه ونشكو ، وتجربته الطويلة في الاشتغال بالعلم وحرصه وأمانته كفيلة أن تؤتي في هذا المجال أينع الثمرات .

---

(٤٨) لمع الشهاب ص ٩٧ .

(٤٩) الشعر عند البدو ص ٢٤ وأحال إلى عشائر الشام لوصفي زكريا .

(٥٠) أنظر سمط النجوم العوالي ٣٦٥/٤ و٤٠٦ .

(٥١) القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ص ٧٩ وقارن بصفحة ١٥١ (حاشية) .
[هذا رأي لا قيمة له فاسم الموضعين أقدم من عصر أسرة الجرباء بعصور فأحدها كان معروفاً قبل الإسلام وفي صدر الإسلام ، وله ذكر في السيرة النبوية ..... حمد] .

(٥٢) [ذكر العزاوي «عشاير العراق» — ١٣١/١ — أن الجرباء هي أم سالم بن محمد ، فآل الجرباء وآل محمد عنده مترادفان كما في ص ٣١ : (بيت الرئاسة — الجرباء آل محمد)] .

(٥٣) عن قوة نفوذهم في العراق أنظر معجم قبائل العرب ٦٣/٤ — ٦٤ .

(٥٤) الشعر عند البدو ص ٢٤ إلا أنني أصلحت خلل الوزن وهي من فن الحداء .

التأييد الكامل : كان وصف الدكتور حسين لحاملي الشّهادات وصفاً عادلاً ، لا لأنه ينطبق عليهم جميعاً ، بل لأنه ينطبق على أكثرهم ، ولا عبرة بالشواذ .

وتأييدي يقتصر على إضافة أمثلة جديدة ونماذج واقعه ، تؤيِّد ما جاء في المقال .

أعرف دكتوراً تخرّج في إحدى الجامعات الفرنسية ، يشغل منصباً مرموقاً ويتباهى بلقبه العلمي ، وقد سألته مرّة عن موضوع رسالته ، فتهرب من إعطاء الجواب ، ولا يعرف أحد حتى اليوم موضوع الرسالة التي نال عليها لقبه العلمي .

وأدهى من ذلك وأمّر ، هو أنَّ الدكتور يجهل اللّغة الفرنسية ، وهذا ما لم يستطع كتمانه كما فعل بكتمان رسالته ! !

وقد علمت أن الدكتور سافر إلى فرنسا ، فاتّصل بأحد الذين يكتبون الرسائل للطلّاب لقاء أجر معيّن من المال ، فكتب له الرسالة ، وجمع له الأساتذة المناقشين الذين منحوه اللقب العلمي !

وكما يكون للطبيب عيادة ، وللمحامي والمهندس مكتب ، وللتاجر متجر ، ولأصحاب الحرف والباعة أماكن للخدمات والبيع والشراء ، فتح قسم من الأساتذة مكاتب في زوايا المقاهي في الحيّ اللّاتيني بباريس ، حرفتهم كتابة الرسائل ، وحشد الأساتذة لمناقشتها ، واستحصال الشهادات العالية للطلاب الأجانب ، لقاء أجر مالي يرتفع وينخفض بارتفاع وانخفاض الأسعار السائدة للسِّلع المختلفة في السوق .

ونشاط تُجّار الرسائل الجامعية مكشوف ، لا يخفي على السُّلطات الحكومية وغير الحكومية ، وربما كان تغاضي تلك السُّلطات عن أولئك التجار ، لأن نشاطهم يقتصر على تصدير الشهادات إلى البلاد العربية بخاصة والإسلامية بعامة ، ولكن أليس على مسؤولي التربية في البلاد العربية والإسلامية حماية بلادهم من استيراد الشهادات العالية المزيّفة !؟

والجامعات الأجنبية ليست سواء ، فمنها مَنْ لا يختلف كثيراً عن تجار الشهادات الذين مرّ ذكرهم فهم لا يهتمون بعلم الطالب كما يهتمون بجيبه ، والمهم في نظرهم قبض الثمن وتقديم الشهادة .

ومن الجامعات الأجنبية مَنْ لا يزال يحترم العلم حقاً ، فيعصرون الطالب عصراً وبخاصة إذا كان من أبناء وطنهم ، أما الطلاّب الشرقيون عامة فليس المطلوب منهم أن يتعلّموا كما يتعلّم الأجانب حتى يمنحوا الشهادات العلمية العالية ؛ بل يشملهم التساهل لسبب أو لآخر ، فلا تكون شهاداتهم العالية مناسبة لعلمهم المتواضع .

أما الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأجنبية ، فالأمر مختلف جداً ، لأن اساتذتها غالباً ما يكونون يهوداً أو نصارى من رجال الدين المسيحي المعنيين بالتبشير ، أو من الذين عملوا في السفارات الأجنبية أو مع جيوش الاحتلال ، وجميع هؤلاء لا يفهمون العربية لغةً والإسلام ديناً كما ينبغي ، ويحملون روحاً معادية للعربية والإسلام بما فيه التاريخ الإسلامي ، وهم يُتقنون الدّسّ والتشكيك ويشيعونهما بين الطلاب ، فيعود الطالب بعد تخرجه ومعه شهادته العالية ، وهو مؤمن أنّ العربية أصعب اللغات ، وأنها لغة ثانوية محليّة وليست لغة عالمية ، وأنّها لا تصلح لغة للعلم وقد تصلح لغة للأدب المحليّ ، وأنّها بحاجة إلى التحوير والتطوير بإبدال حروفها وإملائها وإعرابها ، وأن إشاعة العاميّة من الحلول المجدية لإصلاح العربية . إلى أمثال هذا الدسّ والتّشويه والتّشكيك الذي مصدره أساتذة الجامعات الأجنبيّة من يهود ونصارى وجواسيس .

ويعود الطالب بعد تخرجه في الجامعات الأجنبية ومعه شهادته العالية ، وهو مؤمن أن التاريخ الإسلامي مزوّر ، وأنه ليس تاريخاً بل حكايات ، وأنّه يجب إعادة كتابة التاريخ بإلغاء التاريخ وإعادة كتابته كما كتبه الأجانب من أعداء العرب والمسلمين . وأنّ الإسلام انتشر بالسّيف ، وأن الفتح الإسلامي كان لأسباب اقتصادية ، وأن مفسري القرآن الكريم منحرفون ، والمحدثين مغفلون ، والفقهاء محترفون .

وهؤلاء الطلاّب على الغالب ، العائدون بشهاداتهم العالية ، لم يقرأوا مصادر اللّغة العربية وتاريخ الإسلام ، ومصادر الحديث والفقه ، كلّ مراجعهم أجنبية مسمومة .

وأغلب هؤلاء بعد عودتهم ، لا يريدون أن يتعلموا من جديد ، بحجّة أنّهم بلغوا القمّة في العلم ، وتكفيهم مراجعهم الأجنبية ، أما المصادر الإسلامية المعتمدة ، فيطلقون عليها بازدراء : الكتب الصفراء ، كما علّمهم أساتذتهم من يهود ونصارى وجواسيس .

فإذا عادوا إلى بلادهم نفثوا سمومهم في طلابهم بالجامعات العربية والإسلامية ، بمؤلفاتهم ومقالاتهم المنقولة حرفياً عن المراجع الأجنبية في قرائهم ، وبأحاديثهم المسموعة والمرئية في السامعين والمشاهدين ، فشاع الدسُّ والافتراء والتشكيك وعمَّ البلاء .

وقد أجرت مجلّة اللِّسان العربي قبل سنوات استفتاء مفاده : هل تصلح اللّغة العربية لغة للعلم ؟ فأجاب الكاتبون إجابات مختلفة متناقضة .

وكان أحد الأساتذة (الدكاترة) الجامعيين المجمعيين ، قد أجاب : (إنها لا تصلح) .

وسألت المجيب : هل اطّلعت على كتاب المخصّص لابن سيدة مثلاً ؟ فأجاب : (لا) : فقلت له : إذا كانت العربية الفصحى لغة القرآن الكريم ، وهي اللّغة الحيّة التي قادت العلوم في العالم بضع قرون لا تصلح لغة للعلم برأي أستاذ (دكتور) جامعي مجمعيّ ، فاقرأ على الدنيا السّلام ! إنَّ أبسط فرد من أفراد العدو الصهيوني يزعم أن اللّغة العبرية وهي لغة ميتة لم تحمل العلم أبداً ، هي صالحة للعلم ، وقادرة على النهوض بمفرداته ؛ وقد استطاع ذالك العدو أن يجعل هذه اللغة الميتة لغة علميّة بالإكراه في جامعاته كما هو معروف ، فإن الادعاء بأنَّ العربية الفصحى لا تصلح للعلم دسيسةٌ من دسائس أعداء العرب والمسلمين وعلى رأسهم الاستعمار والصهيونية .

وحملت إلى الأستاذ الدكتور الجامعي المجمعيّ مجلدات كتاب «المخصّص» ليطّلع عليه ، فما قرأه ولا استفاد منه ، فاستعدت الكتاب منه ، لأنه كان غريباً في مكتبته بين مراجعه الأجنبية الغَريبة .

وقد قرأت بحثاً عن مؤلِّف من مؤلفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم القُدامى ، كتبه أستاذ دكتور جامعي ، فاعتمد المراجع الأجنبية في كتابة بحثه ، ولم يرجع إلى المصادر الإسلامية المعتمدة .

وبالطبع نقل اتهامات الأجانب لهذا المؤلف العربي المسلم ، وهو عندهم مزوِّر كذاب متناقض ، وهو في المصادر الإسلامية المعتمدة ثقة أمين محدِّث فقيه لغويّ حافظ ورع ، وما درى الأستاذ الدكتور أن المؤلفين الأجانب من يهود ونصارى لا يهمهم الطعن في

المؤلف العربي المسلم القديم ، إلّا لأنّه رائد في السيرة النبويّة ، فالأجانب يريدون طعن السيرة المطهّرة والتشكيك فيها ، فكان على الأستاذ الدكتور العربي المسلم ، ألّا يردّد اتهامات الأجانب بدون تحقيق ولا تدقيق ، وكان عليه أن يشكّك في الاتهامات ، ولو عاد إلى مصدر إسلامي معتمد ، لانكشف له دَسّ المؤلفين الأجانب وتزويرهم .

وصُدِمْتُ بالبحث المذكور ، وتألمتُ كثيراً ، فقلت للأستاذ الدكتور : ألم تطّلع على ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذّهَبِي ؟! وفي ظني أنّ هذا الكتاب مشهور للغاية ، لا يجهل مكانه ومكانته أصغر طالب من الطلّاب في الدراسات التاريخية والإسلامية ، ولكنّ الأستاذ الدكتور خريج الجامعات الأجنبية في التاريخ الإسلامي والأستاذ في الجامعات العربية ، لم يكن يعرف هذا الكتاب ولم يسمع به في حياته !!

إنّ أولادنا الذين نبعثهم إلى الجامعات الأجنبية للدراسات العليا في اللّغة العربية ، بعد تخرجهم في الاعدادية أو في الثانوية العامة كما يطلق عليها في قسم من البلاد العربية ، يعودون وقد أصبحوا أعداء للغتهم ، ووجودهم في الجامعات العربية والإسلامية من مصلحة العدوّ لا من مصلحة الصديق .

ونيات الأجانب في عدواتهم للعربية لغةً معروفة ، والتنفيس عن عداوتهم بالدعوة إلى العامية تارة أو الكتابة بالأحرف اللاتينية ، تُثَار من الأجانب تارةً ، ومن أذنابهم المستغربين تارةً أخرى ، هدفها أن يُصْبِح هذا القرآن مهجوراً .

إنّ أعداء العرب والمسلمين من الأجانب ومن أذنابهم الذين لم أرَ واحداً منهم دخل مسجداً ولا صلّى صلاة واحدة ، يعلمون أن القرآن الكريم هو سرّ بقاء العربية لغةً والإسلام دِيْناً ، فإذا هجره العرب والمسلمون فقد خسروا كلّ شيء ، وماتوا ولو بقوا على قيد الحياة : فإنّما الميّتُ ميْت الأحياء ـــ كما يقول الشاعر ـــ وحينذاك لا يقاوم الاستعمار أحدٌ ، ولا يقضّ مضجع الصهيونية أحد !!

إن العربي المسلم أحرى الناس بالدفاع عن لغته ودينه ، لا أن يروّج بِدَسّ الأجانب بجهل وغباء عجيب .

أمّا أولادنا الذين نبعثهم إلى الجامعات الأجنبية للدراسات العليا الإسلامية ومنها

التاريخيّة ، فيعودون أعداء للإسلام وللتاريخ الإسلامي ، لأنهم تلقوا علمهم على أجانب يهود ونصارى يعادون الإسلام والتاريخ الإسلامي ، وخير دليل على عداوتهم تلك الكتب التي ألّفوها في الدّس والتشكيك والافتراء على الإسلام وعلى التاريخ الإسلامي ، فهل من مصلحة العرب والمسلمين أن يسلّموا أفلاذ أكبادهم لأعداء دينهم وتاريخهم المجيد ؟!

فإذا عاد هؤلاء من الخارج وأصبحوا أساتذة في الجامعات ، لوثوا عقول طلابهم وسمّموها ، وعلموا الدس والتشكيك والافتراء ، وخير دليل على ذلك ما نجده من انحراف الطلّاب في الجامعات العربية والإسلامية عن الطريق المستقيم فكراً وعلماً وعملاً وعقيدة ، ومن كان في ريب من هذا ، فليسأل كم عدد الطلّاب الذين يؤدون الصّلاة ! ! !

واقرأ معي في كتب التاريخ الإسلامي التي تدرّس في الجامعات العربية والإسلامية ، أنّ الفتح الإسلامي كان لأسباب اقتصادية ، وأن انتصار الفاتحين كان لضعف المقاومة في البلاد المفتوحة ، وأن الإسلام انتشر بالسيف ، وأنّ النصارى العرب عاونوا المسلمين العرب في الفتح ، وأنّ أحد قادة الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطّاب كان مرتداً أو نصرانياً ، مع أنّ عمر كان لا يولي إلّا الصحابة .... إلى غير هذا الدّس والتشكيك !

ولا يَدُلُّ مثل هذا الدّس اللئيم إلّا على التضليل المتعمّد ، وغاية المراجع الأجنبية المريبة ، وأهداف الأجانب الذين زوّروا هذه الأباطيل مكشوفة ، هي سحق العرب والمسلمين حتى لا تقوم لهم قائمة أبداً ، فما ينبغي من عربي مسلم أن ينقل مثل هذه الأباطيل ويروّجها إلّا إذا أراد أن يدلّل عملياً على جهله المطبق وأنه ليس عربياً ولا مسلماً ، بل هو أجنبي كأستاذه ، وعلى دين أستاذه اليهودي أو النصراني أو اللاديني أيضاً .

والذي نطالب به المسؤولين عن الجامعات العربية والإسلامية ، أن يعيدوا النظر في ابتعاث الطلّاب العرب والمسلمين إلى الدراسات العليا العربية والإسلامية في الجامعات الأجنبية ، وأن نطلع على محاضرات المتخرجين من تلك الجامعات ومؤلفاتهم ونقوّم كلّ

انحراف فيها . أما الاطلاع على رسائلهم الجامعية فضرورية إلى أبعد الحدود .

في الجامعات العربية والإسلامية : وبدأت الجامعات العربية والإسلامية عملها في ميدان التعليم ، مقتبسة المناهج والملاكات وأساليب التدريس من الجامعات الأجنبية ، حتى الجامعات الإسلامية العريقة كالأزهر والشريف والقرويّين والزيتونة ومدارس النجف وبغداد وفاس وتونس فَرَنْجَنَاهَا ، فكانت تخرِّج العلماء والدعاة فعادَتْ تخرِّج الموظَّفين والكسبة .

وَسِمَةُ الجامعات الأجنبية ، التّساهل مع الغرباء وبخاصة العرب والمسلمين ، والتشديد على أبنائها ، إذْ لا يهمّها أن يتعلم الطلّاب العرب والمسلمون ، كما لا تحبّ أن تكون للعرب والمسلمين جامعات محترمة لها وزن علميّ مرموق ، فكان المتوقّع أن تقتبس الجامعات العربية والإسلامية التّشديد في القضايا العلمية لا التساهل فيها من الجامعات الأجنبية ، ولكنّها بالعكس تماماً اقتبست التّساهل دون التّشديد ، فخسرنا تقاليدنا العلميّة العريقة ، ولم نستفد شيئاً .

أذكر أنني دُعيت إلى تناول طعام الغداء في دار أحد الطلّاب الذين يُعدُّون للدكتوراه ، فوجدت المُشرف على رسالة الطالب ومعه زوجه وبناته وأولاده في دار الطالب ، ورأيت الأستاذ الدكتور المشرف يكتب الرسالة للطالب ، وسمعت الطالب يلوم أستاذه على تأخره في إعداد الرسالة ، فلما جاء الطعام شارك في تناوله الأستاذ وزوجه وبناته وبنوه . وقد علمت أنّ الأستاذ يتسلم الهدايا العينيّة والنقدية من طالبه ، فإذا تأخّر الطالب عن أداء الرشوة — عفواً الهديّة — طالَبَهُ بها الأستاذ ، وطالبه بها زوجه وذرّيته جميعاً ، وكان الطالب حين يسافر إلى بلده في إجازة ويعود منها بالطائرة ، يبلغ وزن عفشه مائة وثمانين كيلا ، عفشه الخاص عشرة منها والباقي هدايا للأستاذ الدكتور وعائلته كباراً وصغاراً .

وشهدت مناقشة الرسالة ، فناقش الأستاذ المشرف الرسالة التي كتبها ، ودافع عنها دفاعاً مجيداً ، وكان في أثناء المناقشة كأنه هو الطالب المناقش ، وكان الطالبُ كأنه هو الأستاذ .

وانتهت تمثيليّة المناقشة . وأصبح الطالب دكتوراً بدرجة الشرف الأولى ، وأصبح نَجْماً من نجوم الجامعات العربيّة ، يتنقّل من جامعة في بلد عربي ، إلى جامعة أخرى في بلد عربي آخر ، ويستقرّ في الجامعة التي تدفع له مالاً أكثر ، ولا عَجَبَ فهو يريد أن يستردّ ما أنفق من أموال على نيل شهادته العالية ، والله وحده يعلم كيف يعامل طلّابه وكيف يتعامل معهم ، وقد تربّى في تعليمه منحرفاً ، فلا بُدَّ أنه ينقل انحرافه بالعدوى إلى طلّابه .

وجاءني طالب نال شهادة الماجستير من جامعة عربية على رسالة في التاريخ العسكري لحقبة من حقب الدولة العباسية ، وقدّم إليّ نسخة من رسالته ، وحاول أن أكتب مقدّمة للرسالة حتى يستطيع نشرها أو تكون المقدّمة نوعاً من التزكية لرسالته .

وعكفت على قراءة الرسالة ، فوجدتها تافهة متهافتة لا تستحقُّ أن تنشر في صحيفة محليّة من الدرجة العاشرة لا أن تكون رسالة علميّة لنيل شهادة علمية عالية .

ودعنا من الأخطاء اللُّغوية والإملائية وفي الترقيم والتَّبويب ، فقد أصبحت هذه الأخطاء من الأخطاء الشائعة التي لا يهتم بها أحد ، ولا يحاسب على الوقوع فيها أحد ؛ ولكنّ الأخطاء التاريخية والأخطاء في قلب الحقائق تزكم الأنوف وتجعل الحليم حيران .

واعتذرت للأستاذ الذي أصبح معيداً في الجامعة عن كتابة المقدّمة ، وبيّنت له ما فيها من هنات ، ووعدته أن أكتب له المقدّمة إذا أعاد كتابة رسالته وبرّأها من تلك الهنات .

ومضى الأستاذ إلى سبيله ، ولكنّه أعاد الكرّة عليَّ من جديد ، ومعه شفعاء هم الأساتذة الذين ناقشوا الرسالة ، وقد ثبت لي أنهم لم يقرأوا الرسالة بل تصفّحوها ، فلما ذكرت لهم غيضاً من فيض أخطائها ، اعتذروا بأن الرسالة عسكرية ، وهم غير عسكريين ، فكان اعتذارهم أشدّ وقعاً عليّ من الأخطاء .

وحقّق طالب كتاباً في التراث عن الأنساب ، وقدّمه للمجمع العلمي العراقي على أمل نشره ، فأحالت لجنة النشر في المجمع ذلك الكتاب إليّ لدراسته وتقرير صلاحيته للنشر .

ولم أكد أقرأ صفحة من صفحاته ، إلّا وانهالت عليّ الشفاعات ، كأنّها المطر الغزير في فصل الشتاء ، فوعدت أن أعطي الجواب للشفعاء بعد قراءة الكتاب .

وقرأت الكتاب الذي نال محقّقه عليه شهادة عالية من الجامعة ، فهالني كثرة التحريف في الأسماء عامة ، أسماء الأشخاص ، وأسماء القبائل ، وأسماء الأماكن ، ولم تكن تلك الأسماء موثقة بحركات الأعراب مما يؤدي إلى مشقّة قراءتها قراءة سليمة ، والأغرب من كلّ ذلك — في نظري على الأقل — هو مناقشة حديث من أحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم في هامش إحدى الصفحات ، مناقشة لا تليق بمسلم تجاه الحديث . ونسيت أن أذكر أنّ الآيات لم ينص على السور الواردة فيها ورقمها ، والأحاديث لم تخرّج ، بل إنّ قسماً من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة الشريفة نقلت خطأً دون الرجوع إلى الكتاب العزيز للتأكد من سلامة نقل الآيات ، وإلى كتب الحديث للتأكد من صحّة نقل تلك الأحاديث .

وأعدت الكتاب إلى (المجمع) مرفقاً بتقرير يضمّ ما في الكتاب من أخطاء ، وختمت التقرير بأنّ الكتاب لا يصلح للنشر .

ولا أزال مُسْتَغْرِباً من منح الطالب على مسخ هذا الكتاب شهادة عالية ، وقد أغضبت الأستاذ محقّق الكتاب الذي علمت أنه من ذوي السلطة والسلطان ، ولكنني أرضيت الله ، وبيته برِضَى والأنام غِضَابُ .

إنّ أكثر حاملي الشهادات العالية ، يعتقدون أن نيل الشهادة العالية هو نهاية الجهد الذي يبذلونه من أجل العلم ، والواقع أنّ نيل الشهادة العالية هو بداية الجهد الذي يبذلونه من أجل العلم ، والمرء الذي يريد أن يصبح عالماً حقاً ، لا بُدّ له من أن يبذل قُصَارَى جُهْدِهِ من المهد إلى اللّحد للتعلّم ، وأن يبقى طالباً مدى الحياة ، يسعى إلى العلم والعلماء ، ويأخذ العلم من كل عالم في كلّ مكان ، دون التعالي بالشهادة العالية ، فهذه الشهادة لا ترفع أحداً ، والعلم وحده هو الذي يرفع العلماء ، والانتاج العلمي وحده هو الذي يرفع قدر العالم ويميزه عن غيره من العلماء .

والخلاصة أن الجامعات العربية أصبحت مصانع لتخريج الموظفين ، وأن السّاعين

لنيل الشهادات العالية يسعون إليها من أجل تحسين حالتهم المعاشيّة ؛ لأنّها تغدق عليهم مرتبات أكبر وأضخم مما كانوا يتقاضونه قبل نيلها ، وأنّها تيسّر لهم العمل في الأقطار العربية الأخرى التي تدفع لهم مرتبات أكبر وأضخم مما كانوا يتقاضونه في بلادهم الأصلية ، أما العلم فغائب عن العمليّة كلّها ، إلّا ما يفسح المجال لهم لنيل الشهادات العالية ، ولا يكون العالم عالماً إلّا إذا أحبّ العلم من أجل العلم لا من أجل المال .

كما أنّ نيل الشهادة العالية يضفي على أصحابها نوعاً من الامتياز ، فالناس يظنون بهم العلم ، وأنّهم من كبار العلماء إن لم يكونوا من قادة العلماء ...!

وأريد أن أقرِّر بكل صدقٍ وأمانة ، أن الامتياز الذي يتصوره حامل الشهادة العالية أو يحلم به ، هو في الحقيقة والواقع امتياز موهوم ، فالناس تضع أصحاب الشهادات العالية وغيرهم من الناس في مواضعهم التي يستحقونها ، فتضفي على أصحاب الشهادات الامتياز الذي يتصوّرونه وأكثر مما يتصوّرونه ، إذا كانوا يستحقون هذا الامتياز . أما الذين لا يستحقونه ، فقد تكون الشهادات العالية من بعض البلاء عليهم ، لأنّ المفروض أن يثبتوا عملاً جدارتهم بحمل ألقاب تلك الشهادات العالية ، فإذا لم يستطيعوا بالعمل إثبات جدارتهم بالتأليف المُثْمِر ، والبحوث اليانعة ، والعلم النافع ، والتدريس المُجْدِي ، فإنّ شهاداتهم العالية تكون وبالاً عليهم ، إذ سرعان ما ينكشف أمرهم — إذا كانوا خائبين ، فيوضعون في حقل الجاهلين لا في حقل العالمين ، ولا يستوي الذي يعلمون والذي لا يعلمون .

الأمانة العلميّة : وعلى ذكر تساهل الجامعات الأجنبيّة مع الطلاب العرب والمسلمين في منحهم الشهادات العلمية العالية ، وعلى ذكر تساهل قسم من الأساتذة العرب والمسلمين في الجامعات العربية والإسلامية في منح الشهادات العلمية العالية لطلابهم العرب والمسلمين ، لا بدّ من تذكر ما كان يتمتّع به السلف الصالح من علماء العرب والمسلمين من أمانة علميّة فائقة ، ورعاية متميِّزة لطلابهم دون التّساهل معهم في القضايا العلمية ، ومن محافظة على كرامة العلماء .

ومصادر المسلمين في السِّير والتاريخ ، عامرة بأخبار العلماء والطلّاب .

قصد أسَدُ بنُ الفُرات ــ مُصَنِّفُ كتاب «الأسدية» في فروع الفقه المالكيّ وفاتح جزيرتي قُوصَرَة وصِقِلِّيَة في البحر الأبيض المتوسط ، قصد المدينة المنورة سنة اثنتين وسبعين ومئة الهجرية (٧٨٨م) ، وأخذ العلم عن الإمام مالك رضي الله عنه .

وقبل أن يغادر أسَدٌ المدينة المنورة بعد أن استوعب علم مالك ، ودَّع مالكاً فقال له : أوصيك بتقوى الله والقرآن ، والمناصحة لهذه الأمة .

وقصد أسَدٌ العراقَ ، فلقي في بغداد أصحاب الإمام أبي حنيفة النُّعمان بن ثابت رضي الله عنه ، أبا يوسف يعقوبَ بنَ إبراهيم ، ومحمّد بن الحسن الشيباني ، وغيرهما ، فكتب الحديث في العراق وتفقّه به .

وحضر أسدُ مجالس محمد بن الحسن الشيباني العامَّةَ ، فلم يكتف بذلك ، بل طلب إليه أن يسمح له بوقتٍ يخصّه فيه بالدراسة ، فقال أسد لمحمد بن الحسن : إني غريب وقليل النفقة ، والسّماع عندك نزر ، والطلب عندك كثير ، فما حيلتي ؟ فرحَّب محمد بن الحسن باستزادة طالبه من العلم ، وقال له : اسمع من العراقيين بالنّهار ، وقد جعلتُ لك اللَّيل وحدك ، فتأتي فتبيتُ عندي ، فأسمعك .

قال أسدُ : فكنت أبيتُ في سَقِيفَة بيتٍ يسكن محمد بن الحسن في عُلُوِّهِ ، فكان ينزل إليَّ ، ويضع بين يديه قدحاً فيه ماء ، ثم يأخذ في القراءة ، فإذا طال الليل ورآني نعستُ ، ملأ يده ماءً ونضح به على وجهي ، فأنتبه ، فكان ذلك دأْبي ودأْبُهُ ، حتى أتيتُ على ما أريد من السماع عليه .

وأسبغ محمد بن الحسن رعايته المادية والمعنويّة على الطالب أسد ، كما كان يفعل السلَف الصالح من الأساتذة بطلاّبهم . قال أسد : كنت جالساً يوماً في حلقة محمد بن الحسن ، فصاح صائح : الماء للسبيل ! فقمتُ مبادراً ، فشربت من الماء ، ثمّ رجعت إلى الحلقة ، فقال محمد بن الحسن : يا مغربي ! أشربْتَ ماء السبيل ! ! فقلت أصلحك الله ، وأنا ابن سَبِيْل ! !... ثمّ انصرفتُ .

فلما كان الليل : إذا بإنسان يدقُّ الباب ، فخرجتُ إليه ، فإذا خادم محمد بن الحسن ، فقال : مولاي يقرأ عليك السّلام ويقول لك : ما علمتُ أنك ابن سبيل إلاّ

في يومي ، فخذ هذه النفقة ، فاستعن بها على حاجتك ... ثمّ دفع لي صرّة ثقيلة : فقلت في نفسي : هذه كلّها دراهم ... ففرحتُ بها ، فلمّا دخلت منزلي فتحتها ، فإذا فيها ثمانون ديناراً ! !

هكذا كان يحرص الأساتذة على التعليم ؛ وهكذا كان يحرص الطلّاب على التعلّم ؛ وهكذا كانت طريقة الأساتذة المادّية والمعنوية لطلّابهم ، وهكذا كان يحرص الأساتذة على كرامة الطلّاب ليغرسوا في نفوسهم سجيّة الحِفَاظ على كرامة العلم والعلماء بعد تخرجهم .

وأذكر أنّ طالباً درس العلم على والده العالم في الموصل ثلاثين سنة ، فأصرّ والده على حرمانه من (الإجازة) لأنه لم يستوف شروط العالم المتمكّن . ولجأ الطالب إلى زملاء والده من علماء الموصل الأعلام ، وكان ذلك قبل أربعين سنة خلت ، ليشفعوا له عند والده في منح (الإجازة) له : فاعتذر أكثر العلماء الذين لجأ إليهم قائلين له : «لا نتدخل في مثل هذا الأمر» .

واستطاع إقناع عالمين جليلين من علماء الموصل أن يشفعا له عند والده ، فلمّا كلّما الوالد الأستاذ ، غضب غضباً شديداً وقال : أين أذهب من الله . إذا أنا منحتُ الإجازة لمن لا يستحقها ولو كان ولدي ! !

هكذا كانت أمانة العلم في نظر العلماء الأعلام ، يؤدونها لطلابهم من أبنائهم ومن غير أبنائهم ، فقد كانوا يُعَلِّمون العلم ويُعلمون ما هو أثمن من العلم ، ولا يكون للعلم بدونه وزن ولا قيمة ، وهو الخلق الكريم .

وصادفت الشيخ أمجد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق وهو يهمُّ بدخول مسجد المرادية في بغداد لصلاة العصر ، وكان ذلك قبل خمس وعشرين سنة ، فجاءه رجل واستفتاه في قضيّة شرعيّة سهلة ؛ ولكن الشيخ الزهاوي عليه رحمة الله استَمْهَلَ السّائل قائلاً : تأتيني بعد يومين في هذا المكان في مثل هذا الوقت لأعطيك الجواب . وقد كان باسنطاعة الشيخ الزهاويّ أن يفتِيَ الرجل فوراً ؛ لأنّ القضية سهلة ؛ ولكنه أراد أن يعود إلى مصادره من الكتب لِيَتَثَبَّتَ من الجواب .

وقد حجَّ هارون الرشيد الخليفة العبّاسي ؛ فشخص بعد الحج إلى المدينة المنورة . وأراد أن يسمع الحديث عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ؛ فأرسل يستقدمه ، فقال مالك للرسول : قل لأمير المؤمنين ، إنّ طالب العلم يسعى إليه ، أما العلم فلا يَسْعَى إلى أحد .

وأذعن الخليفة ؛ فزار مالكاً في داره ، ولكنه أمر أن يُخَلِّيَ المجلس من الناس ، فأبى مالك إلّا أن يظلّ الناس كما كانوا ، وقال : إذا منع العلم عن العامة ، فلا خير فيه للخاصة .

وكان الفُضَيل بن عياض رحمه الله يقول : لو أنّ أهل العلم أكرموا أنفسهم ، وأعزّوا هذا العلم ، وصانوه ، وأنزلوه حيث أنزله الله عزّ وجلّ .... إذاً لخضعت لهم رقاب الجبابرة ؛ وانقاد لهم الناس ، وكانوا لهم تبعاً . ولكنهم أذلّوا أنفسهم ، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ؛ فهانوا وذلّوا ... فإنا لله وإنّا إليه راجعون ، فأعظم بها من مصيبة .

والسبب المهمّ فيما كان يتمتّع به علماء السّلف الصالح من مزايا علميّة متميزة : الحرص على تعليم الطلّاب ورعايتهم مادياً ومعنوياً ، والالتزام بالأمانة العلمية المطلقة ، والحفاظ على كرامة العلم والعلماء والافتاء بعد التثبيت والتدقيق والتمحيص والدّرس ، السبب المهم هو أنهم كانوا يخافون الله ، ويعتبرون العلم (عبادة) من أجلّ العبادات .

فلما انصرف الناس عن الدين ، أصبح الأستاذ لا يهتمّ بتعليم الطالب ، وأصبح الطالب لا يهتم بالتعلّم إلّا بالقدر الذي يوصله إلى الشهادة العلمية ؛ وأصبح الأستاذ لا يرعى الطالب ؛ وأصبح الطالب يرعى الأستاذ لا لله بل للشهادة ، وأصبح الْتِزَامُ الطالب بالأمانة العلمية ضعيفاً ؛ وأصبح الحفاظ على كرامة العلم والعلماء قليلاً ؛ وأصبح الجاهل يُفتِي بأصعب المشكلات في أسرع الأوقات ، وأصبح العالم والمتعلّم يعتبرون العلم (تجارة) من أربح التجارات .

وما لم نَعُدْ إلى التمسك بأهداب الدين الحنيف الذي جاء ليتمّم مكارم الأخلاق ، فلن نستعيد مكانتنا العلميّة ، بل نبقى عالة على الأمم وفي مؤخرتها في العلم .

وواقعنا المرير عرباً ومسلمين، خير دليل على ذلك.

الموقف العلمي الراهن: لست أقصد أنّ الديار خلت من العلماء الأعلام، فالخير باقٍ ما بقيت السموات والأرض، ولكنّ العلماء الذين يؤدّون واجبهم كما ينبغي لا بُدّ وأن يكونوا ممّن يخافون الله، أو يكونوا ممّن تربوا تربية صالحة وأثّر في سير حياتهم المستقيمة أحد الأبوين أو كلاهما أو أحد الأقرباء والأصدقاء، أو أحد الأساتذة في المدرسة أو المعهد أو الجامعة.

وقد فكّرت كثيراً في الفرق الشاسع العظيم بين الأساتذة الذين تلقّى عليهم العلم جيلُنا، وبين الأساتذة الذين يتلقى عليهم العلم أبناؤنا، فوجدت أنّ أساتذتنا كانوا تربية الدولة الإسلامية الواحدة ذات السيادة والمكانة، وأساتذة أبنائنا تربية الدويلات المستعمرة الضعيفة التي تطبق المناهج الاستعمارية في التعليم والتي تتوخّى ضخامة (الكمّية) في المتعلّمين وضحالة (النّوعية) فيهم.

وكان أساتذة جيلنا قسمين: قسم تلقى العلم في جامعة المسجد، وتخرّج في جامعة المسجد، يتقن العربية ويَعتَزُّ بها، ويتقن العلوم الدينية ويعتزّ بها، ويعرف المصادر الإسلامية المعتمدة ويلازمها. وقسم تلقى العلم في الجامعات الأجنبية، ولكنّه لم يسافر إلى الخارج لتلقّي العلم إلّا بعد أن تخرّج في جامعة المسجد، فتعلّم من الجامعات الأجنبية لغة أجنبيّة، وتعلّم أساليب الكتابة الحديثة في مقدمتها ومتنها وخاتمتها، وفي تبويبها وترقيمها، وفي فهرستها بحسب الحروف الأبجدية للأعلام والأماكن وغيرها، وكانت معلوماته عن العربية لغةً والإسلام ديناً قوية بحيث يصعب على الأستاذ الأجنبيّ أن يغوي أحداً منهم بدَسِّهِ وتشكيكه، لأنه لم يسافر إلى الخارج لتلقّي العلم مراهقاً في ريعان الشباب، جاهلاً للغة والدين والمصادر الإسلامية المعتمدة، فكان هذا القسم من أساتذة جيلنا متيناً في علمه قوياً في دينه منظّماً في عقله، فأثمرت دراسته الأجنبية بالنسبة له إنساناً، وبالنسبة للدارسين عليه طلّاباً، وكان من هذا القسم مَنْ نعرفه في ريادته العلمية والأدبية والتعليميّة.

أما أساتذة أبنائنا، فقسمان أيضاً: قسم تخرج في الجامعات العربية والإسلامية من أصحاب الشهادات العالية الذين تساهل معهم أساتذتهم في منحها، وتلقّوا العلم

بموجب المناهج الاستعمارية المريبة ، فتخرّجوا أنصاف متعلّمين ، يهتمون بالمظهر أكثر من اهتمامهم بالمخبر وبالقشور دون اللُّباب ، فكانت ثمراتهم في الجامعات متخرجين ضعفاء في لغتهم ، غير ملتزمين بدينهم ، خَطُّهم يشبه الذبابة التي غطستْ في الحبر وتحركت على الورق ، وإملاؤهم أعرج ، وإنشاؤهم ركيك ، وعلمهم لا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة أيضاً ، لأنّ أكثره نظري يُنْسَى بمرور الأيام ، وليس عملياً لا يُنْسَى أبداً .

أما القسم الثاني من أساتذة أبنائنا ، فهم الذين تخرّجوا في الجامعات الأجنبية ، وحالهم ليس أحسن حالاً من الأساتذة الذين تخرجوا في الجامعات العربية والإسلامية ، إلّا في كرههم للعربية ، وابتعادهم عن الدين وتمسكهم بالمراجع الأجنبية ، ونقل ما فيها من دسٍّ وتشكيك وافتراء ، إلى العربية حرفياً ، وتسميم عقول أبنائنا وقلوبهم بها أيضاً .

وهناك أساتذة من أساتذة أبنائنا جيدون حقاً ، ولكنّهم على كلِّ حال قليلون ، والعبرة بالكثرة الكاثرة لا بالقلّة القليلة .

في البلاد العربية مثلاً ، كانت الأمّيّة في أيام دراسة جيلنا في المرحلتين الابتدائية والثانوية (١٣٤٥هـ ــ ١٣٥٦هـ) أو (١٩٢٦م ــ ١٩٣٧م) متفشية جداً ، فقد كانت نسبة المتعلمين حينذاك لا تزيد على خمسة بالمئة بالنسبة للأميين ، مع اختلاف يسير في هذه النسبة المئوية بين الأقطار العربية ، وهذه النسبة هي المعدّل التقريبيُّ .

ولكن كان في البلاد العربية كثير من العلماء الأعلام الذين لا نزال نلمس أثرهم وتأثيرهم في حياتنا الثقافية حتى اليوم .

واليوم في سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ، أصبحت النسبة المئوية للمتعلمين ثمانين بالمئة ، وللأميين عشرين بالمئة ، مع اختلاف في هذه النسبة المئوية بين الأقطار العربيّة ، وهذه النسبة هي المعدّل الإجمالي .

ولكن ليس في البلاد العربية من العلماء الأعلام بالكفاية التي كانت للعلماء الأعلام في البلاد العربية علماً وتأليفاً ونشاطاً .

ومعنى ذلك أن (كميَّة) المتعلمين في البلاد العربية ازدادت كثيراً أضعافاً مضاعفة ولكنّ (نوعية) المتعلمين قلّت بشكل يلفت الأنظار ويدعو إلى التساؤل والاستغراب .

و(الكيفية) أهمّ بكثير وأجدى من (الكمّية) في هذا المجال.

إننا نستطيع أن نُعدِّد كثيراً من الآثار البانية لأساتذة الجيل الماضي، وقد مضوا إلى جوار ربِّهم دون أن يَسُدَّ أمكنتهم أساتذة الجيل الحاضر، ولا يزال الفراغ الذي تركوه بارزاً، ولكن لا تزال بقيةٌ من العلماء الأعلام على قيد الحياة، ولكنهم أفنوا الجزء الأكبر من أعمارهم، ولا ندري ماذا سيحدث بعد انتقال هذه البقية الباقية من العلماء إلى جوار الله!!

لقد ازداد عدد المدارس والمعاهد والجامعات، وازدادت (نوعية) العلوم التي تدرّس في تلك المؤسسات العلميّة، وازداد عدد التلاميذ والطلّاب والمعلمين والمدرِّسين والأساتذة، وارتفعت ميزانية التعليم ارتفاعاً فاحشاً، ولكنّ العلماء المبدعين قلّوا، والمؤلفات والبحوث والدراسات والمقالات والأحاديث والخطب والندوات القيِّمة ذات الفائدة الكبيرة للعقول والقلوب معاً قلَّتْ، وهكذا نجحت العمليّة ومات المريض، كما يقول المثل المعروف، أو كما يقول الشاعر:

إنِّي لأَفْتَحُ عَيْنِي حِيْنَ أَفْتَحُهَا ... على كَثِيرٍ ولكنْ لَا أَرَى أَحَدا

وأريد أن أسجِّل هنا، أنّ العلماء المبدعين لم يقلوا حسب، بل قلت كرامة العلم والعلماء ــ أيضاً ــ ولا أزيد.

أذكر أنّ في مدينة الموصل الحدباء مثلاً في سنة (١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣٠ م) كان ما يناهز المئة عالم من علماء الدين المؤجّزين، من بينهم خمسة علماء على الأقل يصلحون لتولي منصب شيخ الأزهر بكل جدارة واستحقاق، وكان في هذه المدينة أكثر من عشرين مدرسة علميّة في الجوامع لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية والعلوم الأخرى، وكانت الجوامع والمساجد عامرة بالخطباء والأئمة والوعاظ والمدرِّسين. أما اليوم فقد أغلقت المدارس الدينية، وأقفرت الجوامع والمساجد من الخطباء والأئمة والوعّاظ والمدرِّسين، فلا يوجد في الموصل عالم يصلح أن يكون شيخاً في الأزهر لا شيخاً للأزهر.

وما دمنا في ذكر الأزهر. فقد أصبح جامعة بعد تطويره كالجامعات الأجنبيّة،

ولكنّه لا يستطيع منافستها في علومها وتقاليدها ، لأنّ مولدها قديم ومولده حديث كجامعة بدأ بعد تطويره . بينما كان الأزهر قبل التطوير أعرق جامعة في العالم ، ولا تنافسه جامعة في العالم بعلومه وتقاليده ، وكان قبل التطوير يخرّج فحول العلماء وأبرز الدعاة . فأصبح بعد التطوير يخرّج الموظفين في شتى الدوائر الرسمية الحكومية ومنها الجامعات ، لأنه كان جامعاً فأصبح جامعة ، فقد روح المسجد ولم يَرْبح روح الجامعة إلّا في التقليد ، وكان رأساً ومتبوعاً ، فأصبح ذنباً وتابعاً .

وما يقال عن الأزهر يقال عن الزيتونة والقرويين والجوامع الإسلامية الأخرى التي كانت أعرق الجامعات ، فتخلّت مختارة عن بركة السماء ، ولم تَحْظَ ببركة الأرض .

إنّ الصراحة في مثل هذه الأمور ضرورية وبخاصة في ظروف العرب والمسلمين الراهنة التي ينبغي أن يُسابقوا الزمن ليلحقوا بركب الأمم المُتَقَدِّمَة ، فما ينبغي أن تخدش الصراحة أحداً ، فمن أهم أسباب تخلّف العرب والمسلمين أنّهم يحجمون عن قول الحق في الغالب لسبب أو آخر ، ويصفون الهزيمة بالنصر ، والجهل بالعلم ، والفساد بالصلاح ، والإفساد بالاصلاح ، والضعف بالقوة ، والتخلّف بالتقدّم .

إنّ الأمم في المجال العلمي تتقدّم إلى الأمام ، أما العرب والمسلمون فيتقدمون إلى الخلف .

المخالفة المحدودة : كان كلّ الذي ذكرته تأييداً كاملاً لما ورد في مقال الدكتور حسين مؤنس ، وهو النقطة الأولى من تعليقي على مقاله . أما النقطة الثانية من تعليقي على المقال ، فهي المخالفة المحدودة لمقاله في الجزء الوارد في الصفحة (٣٧٣ — ٣٧٤) من عددي مجلة العرب (٥ ، ٦) للسنة السادسة عشرة الصادرين في ذي القعدة من سنة ١٤٠١ هـ .

وأنقل ما جاء في هذا المقال نصاً :

(ومن أغرب ما وقع لي من أخبار العلماء ودقّتهم في العلم ، أنّ ابن رشيد السبتي الرحالة ، وكان عالماً مغربياً يطوف العالم ليلقى العلماء ويسمع منهم ، لقي في مصر الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد ، وكان إماماً في العلم معاصراً لعز الدين بن عبد السلام ،

وكان ابن دقيق العيد عالماً متواضعاً منصرفاً إلى العلم ذا حياء وقناعة ، في حين كان عز الدين بن عبد السلام صاحب دعوى عريضة وفم كبير ، ومداخلة للسلاطين ، شأنه في ذلك شأن أهل العلم من غير المصريين الذين كانوا يأتون مصر وينعمون بخيرها ويجدون الأمان والعز في أعطافها ، ولا يكون لهم همٌّ إلّا التطاول على علماء مصر ، ومحاولة التعالم عليهم ، ولدينا من هؤلاء مثالان : ابن حجر العسقلاني من أهل المشرق ، وعبد الرحمن بن خلدون من أهل المغرب ، وكلاهما لم يعرف العزّ والأمن والمكانة العليا إلّا في مصر ، ومع ذلك فما أكثر ما وقع ابن حجر في علماء مصر : وما أكثر ما وقع ابن خلدون في علماء مصر ، ومسكينة مصر هذه ما أكثر ما تحملت وما تتحمّل) .

ولا أُعلِّمُ الكاتِبَ بردِّي هذا فمثلي — من دون تواضع — يتعلّم من مثله ، ولكنني أريد أن أوضح باختصار ، ما يمكن أن يقع فيه قسم من القراء من وَهْمٍ لا أتصور أنّ الكاتب يقصده أو يرضاه .

لقد كان العلماء بخاصة والمسلمون بعامة ، في أيام العزّ بن عبد السلام وابن خلدون وابن حجر العسقلاني ، يعتبرون البلاد الإسلامية وطناً واحداً لهم ، ولم تكن الفكرة القطرية والتعصب القطريُّ والتحيُّز للقطر معروفة لديهم ، بالشكل والأسلوب المعروفين لدى العرب والمسلمين اليوم ، وكان الانتماء إلى الإسلام هو المبدأ السائد ، فإذا هدّد العدوُّ أيَّ جزء من الوطن الإسلامي أصبح الجهاد فَرْضاً عَيْنياً على المسلمين كافة لا على المسلمين الذين يعيشون في ذلك الجزء المهدد وحدهم .

وحين سقطت بغداد في أيدي التتار تألم المسلمون في كل مكان أعمق الألم ، ولم يعتصر الألم أهل بغداد وحدها أو أهل العراق وحدهم ، بل اعتصر الألم قلوب المسلمين في كلِّ مكان من دار الإسلام .

ولما احتل (الافرنج) الأندلس ، اجتاح الألم المسلمين كافة ، ولم يقتصر الألم على الأندلسيين وحدهم ، وآثار هذا الألم المشترك لا تزال شاهدة في الشِّعر والنثر .

وعندما فتح محمَّدٌ الفاتح (القسطنطينيَّة) ، لم يقتصر الفرح على الأتراك المسلمين وحدهم بل شمل كل مسلم شرقاً وغرباً .

والعلماء بخاصة ، كانوا يرحلون إلى بلاد المسلمين ، ليأخذوا العلم على أعلم العلماء وأشهرهم ، وقد يعودون إلى بلدهم الأصلي ، وقد لا يعودون إليه ، فكلّ بلد إسلاميٍّ يحلّون فيه بلدهم الأصليّ دون تمييز.

والعالم الذي يحلّ مصر من المشرق أو المغرب ، لا يعتبر نفسه غريباً في مصر ، ولا يعتبره أهل مصر غريباً ، وما يقال عن مصر يقال عن كلّ بلد إسلامي يرفرف عليه علم الإسلام.

والمسلم الذي يضيق ذرعاً ببلده لأسباب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ، يهاجر من بلده إلى بلد إسلامي آخر ، فيحلّ على الرّحب والسعة أهلاً وينزل سهلاً ، فيتعلم أو يعلّم ، أو يتولى منصباً قضائياً أو إدارياً أو سياسياً ، دون أن يحتاج إلى أوراق تثبت (هويّته) أو جواز سفر من بلده أو يلاقي عَنَتاً من الشُّرَط ورجال الأمن والضرائب، كما يحتاج إلى مثل هذه الأوراق ، ويلاقي مثل هذه العراقيل اليوم.

ولا تزال في القاهرة عائلة البغدادي ، وفي المغرب عائلة العراقي ، وفي الموصل عائلة المصري ، وقد زرت مدينة (طَنْطَا) سنة (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) ، فوجدت أن كثيراً من الأسر التي تعيش فيها هاجرت إليها بصحبة السلطان صلاح الدين الايوبي من مدينة الموصل الحدباء ، منهم عائلة الشيتي ، فالمعروف أن أهل الموصل وحدهم يطلقون على أبنائهم اسم : شِيْت ، ابن آدم عليه السلام المدفون في الموصل ، ومنها أسرة الأعرر ، وغيرهما من الأسر كثير ، ولا تزال أصول هذه الأسر في الموصل وفروعها في طنطا.

وحتى ملوك مصر أكثرهم جاءوا مصر باسم الإسلام ، فما جاءها صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله باسم العراق ، ولا جاءها غيره باسم بلاده الأصلية ، بل جاءوها باسم الإسلام.

وكان قول الله تعالى ، هو المبدأ السائد بين المسلمين كافةً في علاقتهم السائدة بينهم : (يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكمْ مِنْ ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقاكمْ ، إنَّ اللهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ) — الحجرات : ١٣ .

والنسبة إلى البلد أو القبيلة لا للتفرقة والانحياز والتحيز والتعصب بل للتعارف فقط ، لا لشيء آخر مما ابتلينا به في هذه الأيام ، وهذا الابتلاء أَوْجَدَهُ وغذاه ونمَّاه وشجعهُ أعداء العرب والمسلمين ، لأنه من مصلحة أعداء العرب والسلمين — وما أكثرهم — لا من مصلحة العرب والمسلمين ، ما في ذلك أدنى شك ، وما يعانيه العرب والمسلمون اليوم من تفرّق وتمزّق خير دليل .

وأعود إلى صلب الموضوع ، فأذكر أنّ ما سجّله الكاتب للشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد بعض ما يستحقه الشيخ الجليل من ثناء ، ولكن ما سجله الكاتب للشيخ عز الدين بن عبد السلام فيه غمز لا يستحقه هذا الشيخ الجليل ، فهو صاحب دعوى عريضة في الحق لا في الباطل ، وفم كبير في قوله الحق فلا يخشى في الله لومة لائم ومداخلته للسلاطين لحاجة السلاطين إليه لا لحاجته إلى السلاطين ، ولم يكن شأنه وحده في مداخلة السلاطين فقد كان غيره من العلماء معروفين بمداخلة السلاطين كما هو معروف ، منهم برغبتهم في المداخلة ، ومنهم برغبة السلاطين ، ولم تكن مداخلة السلاطين شأن العلماء غير المصريين وحدهم ، بل شأن العلماء المصريين أيضاً .

وحسب الشيخ الجليل عز لدين بن عبد السلام أنّه كان في شجاعته وجرأته بطل الشيوخ وشيخ الأبطال ، بالإضافة إلى أنه كان شيخ العلماء وعالم الشيوخ .

أما الشيخ ابن حجر العسقلاني ، فأصله من عسقلان ، ومولده ووفاته في القاهرة بمصر ، فهو مصريٌّ مولداً ووفاةً ، وكم يسرّ أهل فلسطين أن ينسب إليهم بالقدر الذي يسوء أهل مصر انتسابه إلى غيرهم ، أقول ذلك مجاراة للكاتب ، وإلّا فأنا أعتبره عالماً من علماء المسلمين ، ومفخرةً من مفاخرهم ، وحسبه أن يكون مصنف كتاب : «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» ، ولو لم يكن له إلا شرح البخاري لكان كافياً في علوّ مقداره ولو وقف عليه ابن خلدون القائل : بأنّ (شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة) لقرّت عينه بالوفاء والاستيفاء ، كما قال عنه السخاوي في كتابه «التبر المسبوك في ذيل السلوك» .

وحسبي شهادة أحد المصريين في ابن حجر العسقلاني ، وهو المؤرخ ابن تَغْري بَرْدِي الأتابكي في كتابه : «النجوم الزاهرة» — جـ١٥ — ص ٤٥٥ ما نصّه : (قاضي

القضاة شهاب الدين بن حجر الشافعي حافظ المشرق والمغرب ، كان فرداً في معناه . لا يقاربه في علم الحديث أحد في عصره) .

كما جاء في (ص ٣٨٣) من هذا الكتاب : (وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة سنة ٨٥٢هـ ، عزَلَ الحافظ شهاب الدين بْنُ حجر نفسه عن قضاء الشافعيّة ، ولم يَلِهَا بعد ذلك إلى أن مات) ، فهو يعزل نفسه ولا يعزله السلطان ، والمناصب تسعى إليه ، وهو لا يسعى إليها ، فهل من المعقول والمنطق أن نتّهم مثله بالتمسُّح بأذيال السلاطين ! ! !

ولا أعتقد أنّ ابن حجر العسقلاني عليه رحمة الله بحاجة إلى الدفاع عنه ، فهو من أعلام العلماء وأشهر من أن يُدافع عنه .

أما ابن خلدون الذي غمزه الكاتب ، فهو مغربيّ حقاً من تونس ، ويكفي أن أستشهد بالمؤرخ المصري وهو المقْرِيزي الذي كان يثني ثناء عاطراً على ابن خلدون : ولا أستشهد بثناء المغاربة كابن الخطيب ، خشية أن يدفع الكاتب بأنّ ابن خلدون وابن الخطيب مغربيان يتقارضان المدح والثناء .

ولا أستطيع ، ولا يستطيع غيري ، أن ينفي الخطأ عما كتبه عز الدين بن عبد السلام وابن حَجَر العسقلاني وابن خلدون ، عليهم رحمة الله في القدح بفلان أو في المدح لفلان ، ولكنني أستطيع أن أجزم بأنهم كتبوا ما كتبوا لا لغرض المسِّ بالمصريين لأنهم مصريّون ، ولكنهم كتبوا ما كتبوا وهم يحسبون أنهم على حق ، وقد انتقدوا كثيراً من العلماء غير المصريين أيضاً ، وأثنوا ثناء مستطاباً على قِسْمٍ من العلماء المصريين وغير المصريين أيضاً ، فلماذا نتهمهم بتهمة التحيز على المصريين ونكران جميل مصر كنانة الله في أرضه ، وهي بلد من بلاد الإسلام كسائر بلاد المسلمين .

وأعود إلى الكاتب الدكتور حسين وأسأله : هل هو راضٍ عن كل العلماء المصريين القدامى والمحدثين ؟ ! ألم يقل فيهم بشكل غير مباشر ، في ثنايا حديثه عن منح الشهادات العلمية العالية ، ما لم يقله مالك في الخمر ؟ !

أليس الدكتور مصرياً ، فلماذا يتهم علماء مصر المحدثين بالتفريط في حقِّ منح تلك الشهادات ؟ !

وأعود من جديد ، لأذكر له وللقراء ، أنّ العلماء القدامى ، كانت تسيطر عليهم الروح الإسلامية ، ولم يكونوا يعرفون الروح الإقليمية أو القطرية من قريب أو بعيد . فلماذا نتهم سلفنا الصالح بما ابتُلينا به من روح إقليمية وقطرية ، وهم لا يعرفون مثل هذه الروح ولم تخطر لهم على بال ! !

ولا أظن أنّ السيد الدكتور حسين يجهل ذلك ، ولكنني أردت أن أذكر ، لعلّ الذكرى تنفع المؤمنين .

الحلول والمقترحات : من السّهل جداً على أيّ كاتب ، أن يكتب منتقداً ، وقد يفيد النقد وقد لا يفيد ، فتكون فائدة ما دبَّجَهُ الكاتب فائدة سلبية ، إن كان للسلبيّات فوائد تذكر .

ولكي يكون الكاتب في نقده إيجابياً ، يفيد بما يكتب ، فلا بُدّ من عرض الحلول والمقترحات المناسبة ، بالنسبة لعلمه وخبرته وتجربته في الحقل الذي يعمل في ميدانه ، ويحسن القول فيه .

وقد كان الدكتور حسين مؤنس ولا يزال وسيبقى يعمل في ميدان العلم والتعليم ، كاتباً وباحثاً وأستاذاً ومفكّراً ، فأتوقع أن يعالج ما أثاره من شجون في مقاله ، وأثرته في تعليقي ، ويضع الحلول والمقترحات الكفيلة بالمعالجة .

إنّ في البلاد العربيّة والإسلامية لجاناً لمعادلة الشّهادات ، ولكن هذه اللجان كما يبدو تعمل بوحي من الظروف السياسية ، لا بوحي من العدل والحق والإنصاف ، فهي تارة لا تعادل الشهادات العلمية العالية للدول الشرقية كالدكتوراه مثلاً بالشهادات العلمية العالية للجامعات الغربية وبخاصة البريطانية والأمريكية والفرنسية والألمانية ، وتارة تعادل تلك الشهادات بتلك !

وأرى أنّ تعادل الشهادات الشرقية بالشهادات الغربية غير وارد ، فما رأيُ الدكتور ؟

والجامعات الأجنبية الغربية معروفة جداً بالنسبة للعاملين في ميدان التعليم العالي ، معروفة برصانتها ، وحرصها على العلم ، ودقّتها في منح الشهادات العالية ، ومنها معروفة باتجاهها التجاريّ ، واهتمامها بالمال دون العلم ، فهي تبيع شهاداتها بالمال ، وكلّ ما على

الطالب أن يقضي فيها عدداً من السنين ، والنتيجة مضمونة بالنسبة للطالب .

وأرى ألّا تُقبل شهادات الجامعات الغربية التجارية ، ويقتصر إيفاد الطلاب على الجامعات الغربية الرصينة ، فما رأي الدكتور ، وكيف يمكن السيطرة على ذلك ؟

وقد استورد عدد من الطلّاب شهادات عالية برسائل كتبت لهم من أساتذة أجانب تجار .

وأرى ألا تقبل مثل هذه الشهادات ، وأن يُشرف الملحق الثقافي في السفارة على إعداد الطالب لرسالته ، ويتأكد من أنها من إعداده لا من إعداد غيره ، وأن يشهد هذا الملحق مناقشة الطالب في الجامعة ، وأن تعرض الرسالة على لجنة معادلة الشهادات لتدقيقها والتأكّد من صلاحها ومعرفة الطالب اللغة الأجنبية معرفة تسمح له بكتابة رسالة جامعية ، فماذا يرى الدكتور ؟

وقد دأبت بعض البلاد العربية والإسلامية على إيفاد طلابها إلى الجامعات الأجنبية للتخصّص في الدراسات الإسلامية العليا واللغوية .

وكان قسم من الموفدين من خريجي المدارس الثانوية العامة للحصول على (الليسانس) و(الماجستير) و(الدكتوراه) من الجامعات الأجنبية ، فعادوا إلى بلادهم مُلَوَّثين خُلقياً وملوثين فكرياً .

وأرى أن يقتصر إيفاد الطلاب العرب والمسلمين إلى الجامعات الأجنبية على العلوم الصرفة غير الإسلامية واللغوية ، وعلى العلوم التطبيقية ، على أن يوفد الطالب بعد حصوله على (الليسانس) على الأقل لا قبل ذلك .

أما الدراسات الإسلامية واللغوية فأهل مكة أعرف بشعابها ، والأساتذة العرب والمسلمون أعرف من غيرهم بهذه الدراسات ، فلا لزوم لإيفاد الطلّاب العرب والمسلمين إلى الخارج لتلقي مثل هذه الدراسات ، فما رأي الدكتور ؟

وقد تكتّم قسم من خريجي الجامعات الأجنبية في الدراسات الإسلامية واللغوية على رسائلهم الجامعية ، فلم يترجموها ولم ينشروها ولم يطلع عليها أحدٌ اطلاعاً شاملاً دقيقاً ،

لأن قسماً من تلك الرسائل منحرفة جاملوا بها أساتذتهم من يهود ونصرى وجواسيس ليرضى عنهم اليهود والنصارى ويمنحوهم الشهادات العالية ، وأرى أن يطّلع المسؤولون عن التعليم العالي على الرسائل الجامعية ، فإذا كانت منحرفة في موضوعها أو مادتها حرموا صاحبها من شهادته وعاقبوه على انحرافه ، فما رأي الدكتور؟

وقد شمل التساهل في إعداد الرسائل الجامعية وفي مناقشتها ومنح الشهادات العلمية عليها الجامعات العربية والإسلامية كافة ، مما أدّى إلى تردي المستوى العلمي للطلاب والأساتذة معاً .

وأرى أن تقتصر الدراسات العليا على النابهين من الطلاب ، وأن يجري اختيار أساتذة تلك الدراسات من (الحنابلة) في تمسكهم بالأمانة العلمية والاستقامة العلمية والحرص على التعليم ، والتشديد في منح الشهادات العالية إلّا للمستحقين لها ، فما رأي الدكتور في ذلك ؟

وطالما سئلت : **من هو العالم حقاً في نظرك ؟** : وكنت أجيب دائماً : العالم حقاً في نظري ، هو المتين في علمه ، الأمين في تعليمه ، العامل بعلمه ليكون قدوة حسنة لطلابه ، المخلص في عمله ليكون أسوة للطلّاب وغيرهم في إخلاصه ، المتواضع في سلوكه ، المحافظ على كرامة العلم والعلماء .

هكذا كان العلماء العاملون ، الذين خلّفوا من بعدهم طلبةً حملوا علمهم ، وعلماً ينتفع به الناس .

أما أن يكون العالم غير متين في علمه ، فهو نصف عالم ، يضرّ ولا ينفع .

وأما أن يكون غير أمين في تعليمه ، فهو خائن عند الله وعند الناس .

وأما أن يكون غير عامل بعلمه ، فهو منافق ، يقول ما لا يفعل ، ويأمر الناس بالبر وينسى نفسه .

وأما أن يكون غير مخلص في عمله ، فهو مُراءٍ ، كالزّبد يذهب جُفاءً .

وأما أن يكون متكبّراً وبخاصة على الطلاب والضعفاء ، فهو جاهل أبتر ولو حمل أعلى الشهادات العلميّة ، فالعالم الحقُّ ، هو الذي يبقى طالباً حقاً في كل حياته ، يتلقى العلم ويتعلّم في كلّ يوم علماً جديداً .

وأما غير المحافظ على كرامة العلماء ، فهو شحاذ يبيع نفسه بالمنصب أو بالمال ، يُلحِق الذل بالعلم والعلماء .

هذا هو العالم حقاً في نظري ، وهم قليلون في كل زمان ومكان . ولكنّ الكرام قليل كما يقول الشاعر ، وأمثالهم يتركون أثراً عظيماً في الطلّاب والمؤلفات .

وأخيراً ، فإن أسماء الألقاب العلمية لا تزال بأسمائها الأجنبية ، والعربية ليست عاجزة عن وضع مصطلحات عربية تقابلها .

واقترح أن تكون مصطلحات الألقاب هي :

المصطلح الأجنبي	المصطلح المقترح لعلماء الدين	المصطلح المقترح لغيرهم
الليسانس	الشيخ	السيد
الماجستير	الأستاذ	الأستاذ
الدّكتوراه	العالم	العالم

فالذي يتخرج في الأزهر ، بدرجة (الليسانس) نطلق عليه : الشيخ فلان ، فإذا نال درجة (الماجستير) أطلقنا عليه : الأستاذ الشيخ فلان ، فإذا نال شهادة (الدكتوراه) أطلقنا عليه : الشيخ العالم فلان .

وإطلاق كلمة الشيخ على علماء الدين واجبة ، فلا ينبغي أن يتخلّوا عنها كما يفعل قسم منهم اليوم ، وبخاصة من حملة الدكتوراه ، فيقال : الدّكتور فلان ، بدون شيخ ، ولقب الشيخ في نظري أعظم لقب علميٍّ في الدنيا ، فلا تتخلّوا عنه يا شيوخ يرحمكم الله ، فمن الصعب أن نقول لكم : فضيلة الدكتور فلان ، فهذا تناقض شنيع .

والذي يتخرج من الجامعات الأخرى ، بدرجة (اللِّيسانس) نطلق عليه : السيد فلان ، فإذا نال درجة (الماجستير) أطلقنا عليه : الأستاذ فلان ، فإذا نال شهادة (الدكتوراه) أطلقنا عليه : العالم فلان ، إلّا إذا نال درجة الأستاذية في الجامعة ، فيصبح لقبه : الأستاذ العالم فلان . وإطلاق لقب العالم فلان عليه ، يكفيه للدلالة على أنه نال شهادة (اللِّيسانس) و(الماجستير) .

وهذه المقترحات للألقاب العلميّة خاضعة للمناقشة ، ولكن بحق الله ثم بحق العلم أنقذونا من هذه الألقاب الأعجمية الدخيلة ، فما يليق بلغة القرآن الكريم أن نحمّلها المصطلحات الأعجمية الدخيلة .

وعلى كل حال ، أرى أن الألقاب العربية المقترحة سهلة وبسيطة وشائعة ، ويمكن استعمالها بسهولة ويسر .

وأحبّ أن أختم هذا التعليق برأي جديد في قوانين المدارس والمعاهد والجامعات العربية والإسلامية ، التي تنصّ على حملة الشهادة الفلانية للمدرسة ، والشهادة الفلانية للمعهد ، والشهادات الفلانية للجامعات ، كما تنصّ على أنّ حملة (الدكتوراه) وحدهم يشرفون على الرسائل الجامعيّة ويناقشونها ، ولا يحقّ لغيرهم الإشراف والمناقشة .

فإذا حاول الإمام مالك (مثلاً) أن يدرِّس «الموطأ» في إحدى دول المغرب العربي ، فإن طلبه يرفض فوراً ، لأنه ليس من حملة (الماجستير) أو (الدكتوراه) .

وإذا حاول المتنبّي أن يدرِّس ديوان شعره ، و(سيبويه) أن يدرِّس كتابه ، فإنّ طلبهما يرفض فوراً ، لأنهما لا يحملان شهادةً علمية عالية .

وهذا القانون ، أدى — فيما أدّى إليه — إلى حرمان المؤسسات العلمية المختلفة من كفايات علمية عالية جداً ، ولكنها لا تحمل الشهادات المطلوبة .

وأرى تعديل هذا القانون : بحيث يخوّل مجلس الجامعة صلاحية استدعاء اللامعين من العلماء في القطر وخارجه ، لتدريس المادة العلميّة التي لمع اسمهم بها في مختلف العلوم والآداب والفنون ، فمن الحرام إبقاء كفايات علميّة نادرة بحجّة الشهادات العلمية ، وتركها جانباً طاقات معطّلة لا تفيد الجامعات والطلّاب إلّا بطريقة غير مباشرة .

وأستطيع ويستطيع غيري تعداد أسماء علميّة لها باع طويل في اختصاصها العلميّ والأدبيّ والفنيّ ، بعيدة عن المؤسسات العلمية ، لحرمانها من الشهادات ، بمقدورها بحق أن تكون أساتذة أصحاب الشهادات .

فما رأي الدكتور بهذا الاقتراح ؟

معجم المطبوعات العربية

في المملكة العربية السعودية

(٥٢)

مناع القطان :

أستاذ بكلية الشريعة الرياض ، مصري متجنس ، يقيم بالمملكة منذ حوالي عام ١٩٥١/١٣٧١ (؟) .

١ ــ الأسرة في الإسلام :

رسالة ، صدرت قبل الإسلام رسالة الاصلاح : ينظر نظام الأسرة ...

٢ ــ الإسلام رسالة إصلاح :

٧٢ ص ص ١٩٦٤/١٣٨٣ ــ ٨٤ ؟

إن الدكتور حسين مؤنس قد استثاره عالم أو أكثر : درسوا في مصر ، وحملوا على علمائها بحق أو بغير حق ، فصبت جام غضبه على مفاخرنا من العلماء الأعلام ، لأنهم حملوا على قسم من علماء مصر وغير مصر بحق دون تفريق بين مصريّ وغير مصريّ .

والفارق بين الحملتين واضح للدكتور ولغيره من الناس ، فاستثارني بحملته وحملني على هذا التعليق .

فشكراً لله ثم للدكتور على استثارته ؛ ومعذرة إليه إن جانبني التوفيق ؛ وبخاصة فإن حبّي لمصر يعجز عنه الوصف ، وقد تعلّمت كثيراً من علمائها ، ومكثت بين أهلها سنين معززاً مكرّماً ؛ وفضلها لا ينكره إلّا أعمى البصر والبصيرة .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ وما توفيقي إلّا بالله

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها . حمد الجاسر

المراسلات
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
الرياض . المملكة العربية السعودية

ج ١ و ٢ س ١٧ — رجب وشعبان ١٤٠٢ هـ ايار وحزيران (مايو/يونيو) ١٩٨٢ م

"العرب" في عامها السابع عشر

[وتأبى السجايا الكريمة التي يتّصِفُ بها أُستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر أنْ لا تقِفَ عند حَدِّ المؤازرة المادِيّةِ المعنويّةِ لمجلة « العرب » بإمدادها ببحوثه الممتعة عن الحياة العلمية الثقافيةِ في هذه البلاد — بصورة مستمرة ، وان يجْلُوَ مَظَاهِرَ هذه الحياة ، ويبرزها متكاملةً متصلة الأجزاء في حقبة من الزمن تزيد على نصف قرن ، فقد برز اسمه كاتباً في هذه المجلة منذ ثلاثة عشر عاماً (س ٥ ص ١٣٥ شعبان سنة ١٣٩٠) واستمر إلى الآن .

تأبى تلك السجايا الكريمة إلّا أن تضِيفَ إفضالاً ، وأن تزيد كَرَماً في زمنٍ قلَّ فيه مَنْ يفعل الخير للخير نفسِهِ .

بل إن شئتَ فَقُلْ مَعَ المتنبي :

إنّا لَفِي زمنٍ تَرْكُ القبيحِ بِهِ   مِنْ أكْثَرِ النّاسِ إحْسَانٌ وإجْمَالُ

لقد تحدَّثَ أستاذنا الكريم عن « العرب » في جريدة « الجمهورية » العراقية — عدد يوم الجمعة ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩ آذار سنة ١٩٨٢ م — حديث العالم النّزيه القصد ، السامي الغاية . وإنْ كنت أكادُ أتوارى خجلاً مما يتَّصِلُ بي من ذالك الحديث بحيث تردَّدْتُ في نشره ؛ غير أنني — وقد أدركت نُبْلَ الغاية وسُمُوَّها — رأيْتُ في نشره تَعِلّة نفسٍ ، وباعثَ أملٍ . وأنني بمولاة إصدار هذه المجلة أُسيِّر على نَهْجٍ ينظر إليه ذوو الفضل نظرة تقدير . فلماذا لا أكون عند حسن ظنهم بي — ما وجدتُ إلى ذالك سبيلاً —؟! .

وإذَنْ : فَلْيَعْذُرُوني من القراء مَنْ يرى في نشره حديثاً عن النفس لم يَعْتَدْ قُرّاءُ هذه المجلة تقديمه . وليقبلها أُستاذنا الطاهر تحيّةَ عرفانٍ بالفضلِ . وتعبير عن عميق التقدير والشكر] .

٥ ٥ ٥

مدهش هذا البحاثة الشيخ حمد الجاسر الملقب بحق : علامة الجزيرة العربية . ولكننا لسنا ..... اليوم — بصدده . ولا بصدد نشاطه العام في التأليف والتحقيق ، أو الخاص في الصحافة والطباعة ... وانما بصدد الأخص من ذلك أي مجلة العرب . وهي « مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري » تعنى بمعنى أدق بالجزيرة العربية أماكن وقبائل وامارات وحكومات تاريخاً وأدباً ...

وليس سهلاً أنْ تختصَّ مجلة أهلية شخصية بموضوع واحد لأن التخصص الدقيق من مهمّات دوائر حكومية معينة في مقدمتها الجامعات والمجامع والوزارات ، تنفق عليها وعلى كتابها ، وتديم حياتها بتعويض الخسائر المالية . أما أن تكون مجلة متخصصة جداً